اختلاف السلف في التفسير وطريقة الحافظ ابن كثير في التعامل معه

دراسة تطبيقية على تفسيره لسورة النبأ

إعداد

د / محمد إلياس محمد أنور*

https://aif-doi.org/AJHSS/107002

* الأستاذ المشارك بكلية الشريعة وأصول الدين

بجامعة الملك خالد بأبها

والباحث يشكر جامعة الملك خالد على الدعم الإداري والفني لهذا البحث

عام 1444هـ 2023م

الملخص

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد :

تناول البحث دراسة (اختلاف السلف في التفسير وطريقة الحافظ ابن كثير في التعامل معه . دراسة تطبيقية على تفسير سورة النبأ) في سبع مسائل ، ويهدف البحث إلى جمع أبرز أقوال السلف المتعددة في التفسير الواحد في سورة النبأ وبيان نوع الاختلاف فيها، وترتيبها حسب ورودها في السورة، وتضمن البحث : مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس ، وقد تناولت الدراسة التعريف بابن كثير وتفسيره ، وذكر اختلافات المفسرين، ، وبيان حالها ومعرفة الراجح منها عند ابن كثير . رحمه الله ،، ومعرفة أساليب العلماء في التعامل مع هذا الاختلاف ، وقد تعاملوا معه بالترجيح أحيانا وبالجمع أحيانا ، ولا يوجد في أقوالهم اختلاف تضاد وتباين وإنما هو اختلاف تنوع .

المفتاحية: اختلاف السلف – النبأ – ابن كثير.

Abstract

Praise be to God alone, and prayers and peace be upon the one after whom there is no prophet.

The research dealt with a study (the difference of the predecessors in interpretation and the method of Hafiz Ibn Katheer in dealing with it - an applied study). On the interpretation of Surat Al-Naba) in seven issues, and the research aims to collect the most prominent sayings of the multiple predecessors in the single interpretation of Surat Al-Naba, and to indicate the type of difference in it, and to arrange them according to their occurrence in the surah, The research

ISSN : 2410-1818

included: an introduction, three topics, a conclusion, and indexes. The study dealt with the definition of Ibn Katheer and his interpretation, mentioning the differences of the commentators, and explaining their condition and knowing the most correct of them according to Ibn Katheer - may God have mercy on him -. Knowing the methods of scholars in dealing with this difference, and they have dealt with it with preference sometimes and with plural at times, and there is no contradiction or contradiction in their sayings, rather it is a difference of diversity.
Key: the difference of the predecessors - the news - Ibn Katheer.

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . أما بعد:

فإن علم التفسير من أهم العلوم الشرعية وأعلاها قدراً ، إذ به يتحقق فهم كلام الله عز وجل، والذي هو الطريق المؤدي إلى العمل بما فيه. وقد عُني به أهل العلم من لدن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا.

وقد وقع الاختلاف في التفسير بين السلف والخلف ، وتنوعت أساليبهم في التعامل مع هذا الاختلاف، فمنهم من جمع بين الأقوال المختلفة ومنهم من رجَّح بينها .

ومن العلماء الذين عنوا بجمع أقوال السلف في التفسير، الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى، في تفسيره ، المسمى: "تفسير القرآن العظيم".

ولهذا رأيت أن يكون عنوان هذا البحث: " **اختلاف السلف في التفسير وطريقة الحافظ ابن كثير في التعامل معه**
دراسة تطبيقية على تفسيره لسورة النبأ " والله أسأل العون والتوفيق، وهو وحده الهادي إلى سواء السبيل.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في ارتباطه الوثيق بعلم التفسير، والمفسر إذا لم يضبط هذ الأسلوب في التعامل مع الاختلاف فإنه يكون عرضة للخطأ في تفسيره.

ISSN : 2410-1818

أسباب اختيار الموضوع:

- تعلقه بفهم كتاب الله ـ عزَّ وجل ـ.
- معرفة كيفية التعامل مع أقوال السلف المتعددة في التفسير الواحد.
- الإلمام بأهم ما يحتاج إليه المفسر.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى أمور:

- توضيح أنواع الاختلاف الواقع بين السلف في التفسير.
- بيان طريقة أهل العلم في التعامل مع هذا الاختلاف.
- إبراز جهود الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ في هذا المجال.

طريقة البحث :

1. وضعتُ الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين وعزوتها إلى سورها في متن البحث.
2. خرَّجتُ الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها وبينت حكم أهل الفن عليها.
3. عزوتُ الأقوال إلى مصادرها في الهامش، وضعت ما نقلته بنصه بين حاصرتين " "، وذكرت ما يتوافر من معلومات عن مصادرها عند ذكرها أول مرة .
4. أوردتُ فهرساً للآيات القرآنية.
5. أوردتُ فهرساً للمصادر والمراجع
6. لم ألتزم بالترجمة للأعلام.

حدود البحث:

وأما **حدود البحث الموضوعية**، فإن البحث محصور في ما يتعلق باختلاف السلف في التفسير وطريقة الحافظ ابن كثير في التعامل معه في تفسيره لسورة النبأ.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس:

المقدمة: تشتمل على : سبب اختيار البحث، وأهدافه، و وحدوده، وخطته.

المبحث الأول: التعريف بالحافظ ابن كثير وتفسيره ومنهجه فيه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالحافظ ابن كثير.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: التعريف بتفسير ابن كثير ومنهجه فيه.

المبحث الثاني: اختلاف السلف في التفسير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نبذة عن أهمية تفاسير السلف.

المطلب الثاني: اختلاف السلف في التفسير وأنواعه.

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية لتعامل الحافظ ابن كثير مع اختلاف السلف في التفسير من خلال تفسيره لسورة النبأ ، وتحته سبع مسائل:

المسألة الأولى: قوله تعالى: ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ﴾

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ ۝١٤ ﴾

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ۝١٤ ﴾

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ۝٢٣ ﴾

المسألة الخامسة: قوله تعالى: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ ﴾

المسألة السادسة: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ ﴾

المسألة السابعة: قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ۝٣٨ ﴾

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول: التعريف بالحافظ ابن كثير وتفسيره ومنهجه فيه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالحافظ ابن كثير.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير ابن كثير ومنهجه .

المطلب الأول: التعريف بالحافظ ابن كثير

أولا : اسمه ونسبه ومولده.:

هو الحافظ المؤرخ المفسر عماد الدين أبو الفداء : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي البصروي ، ثم الدمشقي..

ولد بمجدل من أعمال دمشق سنة (701هـ) ، ثم انتقل إلى دمشق مع أخيه كمال الدين سنة (707هـ) بعد موت أبيه . [1]

ثانيا : طلبه للعلم.

حفظ القرآن الكريم وختم حفظه في سنة (711هـ) ، وقرأ القراءات وبرع في التفسير ، وحفظ متن " التنبيه " في الفقه الشافعي سنة (718هـ) ، وحفظ مختصر ابن الحاجب ، وتفقه على الشيخين برهان الدين الفزاري ، وكمال الدين ابن قاضي شهبة ، ثم صاهر الحافظ أبا الحجاج المزي ، فتزوج ابنته زينب ، ولازمه ، وأخذ عنه ، وأقبل على علم الحديث فتخرج عليه فيه ، وصحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وكانت له به خصوصية ،وأيضاً كان له اختيارات انفرد بها عن شيخه ، وموافقات وافق بها شيخه في كثير من مسائل الفقه[2]

اشتغل - رحمه الله - بالتفسير ، فجمعه وسماه تفسير القرآن العظيم ، وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية ، وعمل طبقات الشافعية ، وخرَّج أحاديث أدلة التنبيه ، وأحاديث مختصر ابن الحاجب الأصلي ، وشرع في شرح البخاري ولازم المزي ، وقرأ عليه تهذيب الكمال ، ، وكان كثير الاستحضار ، حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها الناس بعد وفاته ، ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم ، وإنما هو من محدثي الفقهاء ، وقد اختصر مع ذلك كتاب ابن الصلاح ، وله فيه فوائد.[3]

([1]) - ولمزيد من التعريف ينظر: ترجمة موسعة له في مقدمة تحقيق "البداية والنهاية" بإشراف د. عبد الله التركي (1/13-33). و طبقات المفسرين للداوودي 1/112.

([2]) - انظر: معجم المحدثين 1/56.

([3])- انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني 1/445-446.

ISSN : 2410-1818

ثالثاً: مذهبه.

تفقه الإمام ابن كثير على فقهاء الشافعية في زمانه ، فحفظ كتبهم ، ودرس علومهم ، بل وكتب الكتب المختصة بهم ، فقد كان مذهب الشافعية هو المذهب المنتشر في بلاد الشام ومصر وأقبل على حفظ المتون ، ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ ، حتى برع في ذلك وهو شاب ، وأفتى ودرس وناظر [4]

قال الشوكاني :" وبرع في الفقه والتفسير والنحو ، وأمعن النظر في الرجال والعلل. [5]"

رابعا: مكانته العلمية .

ولي العديد من المدارس العلمية في ذلك العصر ، منها : دار الحديث الأشرفية ، والمدرسة الصالحية ، والمدرسة النجيبية ، والمدرسة التنكزية ، والمدرسة النورية الكبرى[6] .

خامساً : ثناء العلماء عليه .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - مبيناً مكانته العلمية: " قدم دمشق وله نحو سبع سنين سنة سبع وسبعمائة مع أخيه بعد موت أبيه ، وقرأ في الأصول على الأصبهاني، وألّف في صغره أحكام التنبيه، فيقال: إن شيخه البرهان أعجبه وأثنى عليه... وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم، وكان يشارك في العربية ويستحضر التنبيه ويكرر عليه إلى آخر وقت وينظم نظماً وسطاً" [7].

قال ابن حجى: "أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئا كثيرًا من الفقه والتاريخ، قليل النسيان، وكان فقيها جيد الفهم، ويشارك في العربية مشاركة جيدة، ونظم الشعر، وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه".[8]

([4]) - انظر: طبقات الشافعية الكبرى 326/1. تذكرة الحفاظ صـ 58.

([5]) - البدر الطالع 153/1.

([6]) - انظر: معجم المحدثين 156/1.

([7]) - انباء الغمر بأنباء العمر 39/1.

([8]) - شذرات الذهب لابن العماد232/6. ا

ISSN : 2410-1818

وقال العيني :" كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، وسمع وجمع وصنَّف، ودرس، وحدَّث، وألَّف ، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه رياسة علم التاريخ والحديث والتفسير وله مصنفات عديدة مفيدة ".[9]

قال الذهبي - رحمه الله:- "الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل سمع من ابن الشحنة وابن الزراد وطائفة، وله عناية بالرجال والمتون والفقه، خرَّج وألّف وناظر وصنَّف وفسَّر".[10]

وقال ابن تغري بردي: "الحافظ المفسر المؤرخ المعروف بابن كثير، ...، دأب وحصل وكتب، وبرع في الفقه والتفسير والحديث،...، وجمع وصنَّف ودرس وحدَّث وألَّف، وكان له إطلاع عظيم في الحديث والتفسير والفقه والعربية وغير ذَلِكَ ".[11]

وقال السيوطي - رحمه الله: - "الإِمَام الْمُحدث الحافظ ذو الفضائِل، ...، لَهُ التفسير الَّذِي لم يؤلف على نمطه مثله، ...، الْعُمْدَة فِي علم الحَدِيث معرفَة صَحِيح الحَدِيث وسقيمه وَعلله وَاخْتِلَاف طرقه وَرِجَاله جرحا وتعديلاً"[12]

سادسًا: وفاته :

بعد رحلة حافلة بالعلم والنفع فاضت روحه الطاهرة في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة توفي الحافظ ابن كثير بدمشق ، وقد ذكر ابن ناصر الدين أنه كانت له جنازة حافلة مشهودة، ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام ابن تيمية بمقبرة الصوفية [13]

([9]) - النجوم الزاهرة 123/11.

([10]) - تذكرة الحفاظ 201/4.

([11]) - المنهل الصاقي414/2.

([12]) - طبقات الحفاظ صـ 536.

([13]) - للمزيد في ترجمته انظر البداية والنهاية:1/1. ومقدمة تفسير ابن كثير تحقيق سلامة 17/1.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثاني: التعريف بتفسير ابن كثير ومنهجه فيه.

يعتبر تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير من أشهر ما دُوِّن في التفسير بالمأثور بعد كتاب ابن جرير ، عُني فيه مؤلفه بالرواية عن مفسري السلف ،ففسَّر فيه كلام الله تعالى بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها ، مع الكلام عما يحتاج إليه جرحاً وتعديلا.[14]

إن الناظر في تفسير هذا الإمام _ رحمه الله _ يعلم رسوخه في العلم فامتاز هذا التفسير بمميزات متعددة توضح من خلالها منهج الإمام ابن كثير في كتابه فمنها:

1- امتاز هذا التفسير بسهولة العبارة وجزالتها ، بأسلوب مختصر.
2- يذكر الروايات بأسانيدها في الغالب ، ويحكم على الروايات في الغالب ، فإن كانت ضعيفة بين علتها ، ويسكت عن بعض الروايات فلم يذكر لها حكماً .
3- يفسر القرآن بالقرآن ، حتى يتبين المراد ، وأحياناً يذكر الآيات المتشابهة ، ويذكر القراءات ، وأسباب النزول ، و إن لم يجد ما يفسره بالقرآن فسَّره بالسنة النبوية.
4- في آيات الصفات سلك مسلك الحق والصواب وهو مذهب السلف في إثبات الصفات من غير تحريف أو تعطيل أو تأويل ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾[الشورى: ١١] بخلاف كثير من المفسرين .
5- ينقل أقوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، ويذكر أقوال التابعين ومن تبعهم ، بل إنه ينقل حتى عن الإمام الطبري ـ رحمه الله.

بيَّن ـ رحمه الله ـ منهجه في التفسير فقال : "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، ...، وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين".[15]

([14]) – انظر: التفسير والمفسرون للذهبي 211/1

([15]) – مقدمة تفسير ابن كثير تحقيق سلامة 7/1.

ISSN : 2410-1818

وبيَّن منهجه وموقفه من الإسرائيليات فقال ـ رحمه الله ـ : "هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد ، فإنها على ثلاثة أقسام:

ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.أحدها-

الثاني - ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

الثالث - ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ".[16]

المبحث الثاني: اختلاف السلف في التفسير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية تفاسير السلف.

المطلب الثاني: اختلاف السلف في التفسير، أنواعه وطريقة التعامل معه:

المطلب الأول: أهمية تفاسير السلف:

تعد أقوال السلف من الصحابة والتابعين، من أهم مصادر التفسير، بل هي أهم مصادر التفسير بالمأثور بعد القرآن والسنة؛ لأن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ شاهدوا التنزيل، وعرفوا أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، الذي أنزل عليه القرآن، وعرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن، وعرفوا أسباب النزول، معرفة لا يجاريهم فيها أحد ممن جاء بعدهم.

وقد كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم، فاجتمع لهم حسن القصد والسلامة من البدع والأهواء، وسلامة لغتهم من العجمة، كل هذا وغيره يجعلهم أعلم الخلق بما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما التابعون، فقد أخذوا العلم عن الصحابة رضي الله عنهم، ونقلوا عنهم ما تعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة، فكان مما أخذوه عنهم تفسير القرآن الكريم، وقد عنوا به عناية لا مثيل لها، حتى أن منهم أخذ عن الصحابة التفسير من بداية القرآن إلى نهايته، لذلك كانوا أعلم الناس بالتفسير بعد الصحابة رضي الله عنهم.

ومن أهم مفسري الصحابة: الخلفاء الراشدون، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعائشة، وأبو هريرة، رضي الله عنهم أجمعين.

على أن الذين كثر النقل عنهم في التفسير: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبي بن كعب، رضي الله عنهم، وقد كان لهم تلاميذ كثر، صاروا بعدهم أئمة التفسير من التابعين.

([16]) – مقدمة تفسير ابن كثير تحقيق سلامة 7/1.

ISSN : 2410-1818

وأما المفسرون من التابعين، فأهمهم: مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة بن خالد، وعطاء بن أبي رباح، وأبو العالية الرياحي، ومحمد بن كعب القرظي، ومرة الهمداني، وقتادة بن دعامة السدوسي، وغيرهم. [17]

قال الحافظ ابن كثير: "وحينئذ ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك ، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ،والعمل الصالح ، لاسيما علماؤُهم وكبراؤُهم ، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين وعبدالله بن مسعود ".[18]

وقال أيضا: "إِذَا لم تَجِدِ التَّفْسِيرَ فِي القرآن ولا فِي السُّنَّةِ وَلا وجدته عن الصَّحابة، فقد رجع كثير من الْأَئِمَّةِ فِي ذلك إِلى أَقوال التَّابعين".[19]

وللأسباب التي سبق ذكرها، بين أهل العلم أنه يجب على من تصدى لتفسير القرآن الكريم أن يكون على اطلاع واسع على تفاسير السلف، وأنه بدون ذلك سيكون عرضة للوقوع في الخطأ في تفسير القرآن الكريم .

يقول ابن تيمية: "إن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان، فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق والاختلاف شيعًا، صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم، عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر، والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه؛ فلهذا نجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى؛ إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن، ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول، بل أن يدفع منازعه عن الاحتجاج بها".[20]

([17]) – انظر: التفسير والمفسرون 49/1–50 ، 77 ، 78.

([18]) – مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية صـ95 ، تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، (٧/١).

([19]) – تفسير القرآن العظيم (١٠/١).

([20]) – مجموع الفتاوى 157/4–158

ISSN : 2410-1818

أهم خصائص تفسير السلف:

1- قرب السلف من عصر النبوة.

2- معاينة الصحابة لكثير من الوقائع ومعايشتهم لكثير من الأحداث.

3- معرفتهم بلغة العرب وأساليبها.

4- الوفاق العقدي ، والسلامة من اتباع الهوى والتعصبات المذهبية.

5- قلة الخطأ في تفسيرهم وندرته.[21]

المطلب الثاني: اختلاف السلف في التفسير، أنواعه وطريقة التعامل معه:

من المعلوم أنه قد حصل اختلاف بين السلف في تفسير عدد من آيات القرآن الكريم، وهو أمر نجده في كتب التفسير التي اعتنت بنقل أقوالهم. وبالرجوع إليها نجد أن الاختلاف الحاصل بين السلف على نوعين: اختلاف تضاد ، واختلاف تنوع.

اختلاف التضاد هو تناقض بين قولين أو أكثر يدعو فيه أحدها إلى خلاف الآخر، وهو قسمان: الأول: اختلاف بين قولين كلاهما صحيح كاختلاف المفسرين في معنى الأقراء، فقيل: الطهر، وقيل: الحيض. الثاني: اختلاف بين قول صحيح وآخر باطل، مثل اختلاف الفرق المبتدعة في تفسير آيات من القرآن الكريم كالرافضة وغلاة الصوفية. وغالب الخلاف في التفسير يرجع إلى اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد ، وأما اختلاف التضاد فهو قليل. ومن أسباب اختلاف التضاد: 1- أن يدور حكم الآية بين الإحكام والنسخ. 2- أن يدور حكم الآية بين العموم والخصوص. 3 - أن يكون للفظ أكثر من معنى في لغة العرب. 4 - أن يكون للفظ في الآية قراءتان لكل منهما تفسير مختلف [22]

فالأول : اختلاف التضاد موجود في اختلاف المفسرين لكنه قليل ولكل قول حجته أو شبهته ، وقد أشار شيخ الاسلام ابن تيمية لقوله بعد سوقه اختلاف التنوع فقال : ومع هذا فلابد من اختلاف محقق بينهم أي ـ السلف ـ كما يوجد مثل ذلك في الأحكام ومن أمثلة هذا النوع : اختلاف المفسرين في الذبيح من ولد إبراهيم ـ عليهم السلام ـ عند قوله تعالى ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الصافات:[101- 102]

([21]) – انظر : تفسير السلف للقرآن . أهميته وخصائصه ، نقلاً من مركز بحثي بإشراف د/ محمد السعيدي مقال 183.

([22]) – انظر:. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : (129/1) – فصول في أصول التفسير : (ص97) الفصول في الأصول : (327/4) ، .

ISSN : 2410-1818

قيل الذبيح : إسحاق قاله قتاده والحسن وابن جريج وكعب الأحبار ، وقيل : الذبيح : إسماعيل ، قاله ابن عباس وابن عمر وابن المسيب وسعيد بن جبير وغيرهم وهو الصواب ، ولهذا أدلته وحجته ولذلك شبهته ، التفسيران في المراد بالذبيح – إسماعيل وإسحاق. هما متباينان يلزم من القول بأحدهما نفي الآخر. [23] .

وأما الثاني، وهو اختلاف التنوع، فهو أن لا يتعارض القولان، ويكون الجمع بينهما ممكنا؛ كأن يكونا عبارة عن تفسير بالمثال، أو تختلف العبارات وتكون معانيها متقاربة، أو غير ذلك مما لا يكون بين الأقوال تعارض.

وهذا النوع هو الغالب على الاختلاف الواقع بين السلف في التفسير، وحينئذ لا يحتاج إلى ترجيح في الغالب، بل يجمع بين الأقوال.

قال ابن تيمية: "الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وذلك صنفان:

أحدهما أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى ...." .[24]

وقال أيضا:" ... الصنف الثاني: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه، على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع، لا على سبيل الحد المطابق .....[25]

وقال ابن جزي: "واعلم أنّ التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه، ثم إنّ المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

الأوّل: اختلاف في العبارة، مع اتفاق في المعنى: فهذا عدّه كثير من المؤلفين خلافا، وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه، وجعلناه نحن قولا واحدا، وعبّرنا عنه بأحد عبارات المتقدّمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها.

الثاني: اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العامّ التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، فهذا عدّه أيضا كثير من المؤلفين خلافا، وليس في الحقيقة بخلاف ؛ لأنّ كل قول منها مثال، وليس بكل المراد، ولم نعدّه

([23]) – انظر:. أنواع الاختلاف في التفسير عند شيخ الاسلام ابن تيمية (موقع قلم) ، الفتاوى 331/4 ، زاد المسير لابن الجوزي 72/7.

([24]) – مقدمة في أصول التفسير، ص٣٨.

([25]) – المصدر السابق ص ٤٣.

ISSN : 2410-1818

نحن خلافاً بل عبّرنا عنه بعبارة عامّة تدخل تلك تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل، مع التنبيه على العموم المقصود.

الثالث: اختلاف المعنى فهذا هو الذي عددناه خلافا، ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب ".[26]

أهم خصائص اختلاف السلف:

1- تميز تفسير السلف بميزات عديدة؛ أهمها قلة الخطأ فيه، وغالب ما نُسب إليهم من أخطاء فإمّا أن يكون غير ثابت صحته عنهم، أو مفهومًا على وجه لم يقصدوه، أو محمولًا على سياق أو مقام غير الذي فسروا فيه.

2- غلب على تفسير السلف العناية بالمعنى، وأنواعه ثلاثة؛ تفسير باللازم، وتفسير بجزء المعنى، وتفسير بالمثال. وأكثرُه ورودًا عندهم التفسير بالمثال.

3- احتمال النص القرآني لمعانٍ متعددة من أهم الأسس التي يقوم عليها فهم الخلاف بين السلف، ويرجع هذا الاحتمال إلى ثلاثة أسباب رئيسة؛ كون القرآن كتابًا معجزًا، وكونه بلغة العرب، وكونه كتابَ هدايةٍ للعالم أجمع على مرِّ الزمان.

4- اختلاف التنوع هو: أن يرِد في معنى الآية أقوال غير متنافية؛ سواء أمكن قبولها جميعًا لصحتها أو رُدَّ بعضها لخطأ لا في نفسه، ولكن لقيام قرائن أخرى؛ كالسياق ونحوه.

5- اختلاف عبارة المفسرين في التعبير عن المعنى الواحد راجع إلى تعدد الوجوه التي منها تختلف العبارات؛ كالتعبير عن الشيء باسمه أو بنسبه ونحو ذلك. وتعدُّد العبارات يكون لأحد أمرين؛ إمّا لأن الشيء في نفسه لا يمكن إبرازه إلا بالعبارات الدالة على أوصافه، وإمّا لأن الشيء له تركيبات وأحوال، فتختلف العبارات باختلاف أحواله وتركيباته.

6- الغالب على أسانيد التفسير الضعف، والأصل إمرارها وقبولها رغم ضعفها إلا في حالات معيّنة، وتجريد كتب التفسير من الآثار الضعيفة يوقع في عدّة أخطاء ومخاطر.[27]

([26]) – التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الأندلسي ، (١٦/١).

([27]) – انظر : اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق ، نقلا عن مركز تفسير للدراسات القرآنية ، إصدار رقم 4.

ISSN : 2410-1818

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية لتعامل الحافظ ابن كثير مع اختلاف السلف في التفسير في تفسير سورة النبأ

وتحته سبع مسائل:

المسألة الأولى: قوله تعالى: ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ﴾

المسألة الثانية : قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ ۝١٤ ﴾

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ۝١٤ ﴾

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ۝٢٣ ﴾

المسألة الخامسة: قوله تعالى: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ ﴾

المسألة السادسة: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ ﴾

المسألة السابعة: قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ۝٣٨ ﴾

المسألة الأولى: قوله تعالى: ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ﴾

قال الحافظ ابن كثير:" قال قتادة ، وابن زيد : النبأ العظيم : البعثُ بعد الموت . وقال مجاهد: هو القرآن ، والأظهر الأول لقوله: ﴿ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ ﴾[النبأ:3]

يعنِي: الناس فيه على قولين : مؤمن به وكافر. ".[28]

نلاحظ في هذا الموضع أن ابن كثير ـ رحمه الله ـ قد ذكر للخلف قولين في المقصود بالنبأ العظيم:

الأول: أنه البعث بعد الموت.

والثاني: أنه القرآن.

([28]) – تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٣٠٢/٨).

ISSN : 2410-1818

ورجح الأول لدلالة السياق عليه.

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ ﴾

قال ابن كثير رحمه الله: "وَقَوْلُهُ: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبأ:14]

قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ: { ٱلْمُعْصِرَٰتِ } الرِّيحُ."

ثم ذكر ما رواه ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس أنه قال: { مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ } أَيْ: مِنَ السّحَابِ.

ثم قال:" وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، ومقاتل ، والكلبي ، وزيد بن أسلم : وابنه عبدالرحمن : إنها الرياح . ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب.

وَقَالَ الْفَرّاءُ: هي السحاب التي تتحلَّب بالمطر ولم تمطر بعدُ ، كما يقال امْرَأَةٌ مُعْصِرٌ، إذا دنا حيضها ولم تحض .

وَعَنِ الحسن، وقتادة: { مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ } يعني: السموات. وَهَذَا قَوْلٌ غَرِيبٌ.

وَالْأَظْهَرُ أَنّ الْمُرَادَ بِالْمُعْصِرَاتِ: السّحَابُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الرُّوم: ٤٨] أَيْ: مِنْ بَيْنِهِ".[29]

وهنا ذكر عن السلف في تفسير المعصرات ثلاثة أقوال:

الأول: أنها الرياح.

الثاني: أنها السحاب.

الثالث: أنها السماوات.

ورجَّح الثاني، واعتمد في ترجيحه على ما جاء في سورة الروم.

وبين قبل ذلك أن القول الأول ليس بعيداً جداً؛ لأن الرياح تستدر المطر من السحاب، إلا أن تفسير المعصرات بالسحاب أولى.

وأما القول الثالث، فقد ضعَّفه ابن كثير لغرابته، وذلك لما تقرر عند المفسرين أنه ينبغي تفسير القرآن بما هو الغالب والأشهر في اللغة، لا بالغريب والشاذ.

([29]) – المصدر السابق (٣٠٣/٨).

ISSN : 2410-1818

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾

قال ابن كثير رحمه الله: " وَقَوْلُهُ: { مَآءً ثَجَّاجًا } قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: { ثَجَّاجًا } مُنْصَبًّا. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: مُتَتَابِعًا. وَقَالَ ابن زيد: كثيرا.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:ولا يُعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثجُّ ، وإنما الثجُّ : الصبُّ المتتابع . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (أفضل الحج العجُّ الثجُّ) [30]. يعني: صب دماء البُدن . هكذا قال . قلتُ: وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ("اَنْعَتُ لَكِ الكُرسُفَ) [31]-يَعْنِي: أَنْ تَحْتَشِيَ بِالْقُطْنِ-: قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّمَا أَثُجُّ ثَجًّا. وَهَذَا فِيهِ دَلالة عَلَى اسْتِعْمَالِ الثَّج فِي الصَّبِّ الْمُتَتَابِعِ الْكَثِيرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ". [32]

هنا أورد عن السلف ثلاثة أقوال في معنى { ثَجَّاجًا }:

الأول: منصباً. **الثاني**: متتابعاً. **الثالث**: كثيراً.

ورجَّح القولين الأولين، واعتمد في ذلك على السُّنَّة وعلى اللغة.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾

قال ابن كثير رحمه الله: " مَاكِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا، وَهِيَ جَمْعُ "حقُب"، وَهُوَ: الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَانِ. وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِهِ." [33]

([30]) – أخرجه الترمذي في كتاب الحج باب ما جاء في فضل التلبية والنحر ، حديث (827) 175/3 ، والدارمي في كتاب المناسك باب أي الحج أفضل 331/2، و ابن خزيمة 175/4 (2631) ، والحاكم في المستدرك 450/1 –451 ، كلهم من حديث أبي بكر الصديق ، وصححه الألباني في الصحيحة (6500).

([31]) – أخرجه أحمد 439/6 (ح27581) وأبو داوود في كتاب الطهارة باب من قال : إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة) 76/1–77 ، والترمذي في كتاب الطهارة باب ما جاء في المستحاضة (ح128) 148/1. قال الترمذي : حسن صحيح ، وحسنه الألباني في الإرواء 188.

([32]) – تفسير القرآن العظيم (٣٠٣/٨-٣٠٤).

([33]) – تفسير القرآن العظيم، (٣٠٥/٨-٣٠٦).

ISSN : 2410-1818

ثم ذكر عن السلف في مقدار الحقب الواحد أقوالا:

الأول: قال علي: ثمانين سنة، كل يوم منها كألف سنة. وروي ذلك عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، وعكرمة، والربيع بن أنس، والحسن وغيرهم.

الثاني: وعن الحسن والسدي أيضا: سبعون سنة.

الثالث: جاء عن عبد الله بن عمرو أيضا: أربعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون.

الرابع: قال بشير بن كعب: ثلاثمائة سنة، كل يوم منها كألف سنة.

ولم يرجح بينها.

ثم أشار إلى أقوال السلف في عدد الأحقاب وهل لها نهاية، فذكر أقوالا:

الأول: أنها سبعمائة حقب، كل حقب سبعون سنة، وكل يوم كألف سنة، قاله السدي.

الثاني: أن لها نهاية، لكن الآية منسوخة، وهذا قول مقاتل بن حيان.

الثالث: أن لها نهاية، لكنها في أهل التوحيد، قاله خالد بن معدان.

الرابع: أنه لا نهاية لها، كلما انتهى حقب جاء حقب آخر، وهذا قول الحسن، والربيع بن أنس، وقتادة.

ونقل ترجيح ابن جرير الطبري لهذا القول مقراً له، وذلك لما جاء في غير موضع من خلود الكفار في النار.[34]

قلت : أما ابن كثير ـ رحمه الله ـ فذكر أن (الحقب) مدة من الزمان ولم يحدد مقدار هذا الزمن [35].

المسألة الخامسة : قوله تعالى: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤ ﴾

قال ابن كثير رحمه الله: " وَقَوْلُهُ: { لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا } أَيْ: لَا يَجدونَ فِي جَهَنّم بردًا لِقلوبِهم، وَلَا شرابًا طيبًا يتغَذّوْن بِهِ. وَلِهَذَا قَالَ: {إِلا حَمِيمًا وَغَسّاقًا} قَالَ أَبو العالِيةِ: اسْتَثْنَى مِنَ الْبَرْدِ الحميمَ وَمِنَ الشّراب الْغَسَاقَ.

([34]) – تفسير القرآن العظيم، (٨/٣٠٥-٣٠٦).

([35]) – المصدر السابق (٨/٣٠٥-٣٠٦).

ISSN : 2410-1818

قَالَ ابْن جرير: وَقِيل: الْمرَاد بقوله: { لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا } يَعنِي: النومَ، كما قَال الْكِنْدِيُّ:

بَرَدت مَرَاشفها عَلَيّ فَصَدّنِي ... عَنْهَا وَعَنْ قُبُلاتها البَرْدُ ...

يَعْنِي بالبردِ: النعاسُ وَالنوم ، هَكذا ذكره وَلم يعزه إِلَى أَحد. وَقد رواه ابْن أبي حاتِم، مِنْ طريق السُّدِّيّ، عَنْ مُرّةَ الطَّيّبِ. وَنقله عن مجاهد أَيْضًا. وَحكاه البغويُّ عن أَبي عُبَيدة، وَالْكسَائِيُّ أَيْضًا." (36)

ولم يعتمد ابن كثير على القول الثاني ـ وهو النوم ـ ، ولعل ذلك لكون هذا المعنى وإن ورد في اللغة، فهو قليل نادر، و القرآن لا يفسر على الأشهر في اللغة، ولا ينبغي صرفه عن ذلك إلا بدليل مرجح ، ولذا فسّر ابن كثير (البرد) بقوله : برداً لقلوبهم.

المسألة السادسة: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾

قال ابن كثير رحمه الله: " يقول تعالى مخبرا عَنِ السُّعداءِ وَمَا أَعدّ لهم تَعَالَى من الْكرامة وَالنّعيم الْمُقِيم، فَقَالَ: { إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا } قَالَ ابْنُ عباس وَالضّحّاكُ: مُتنَزها. وَقَالَ مجاهد، وَقتادة: فَازوا، فَنَجَوْا من النّارِ. الأظهر هاهنا قول ابن عَباس؛ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ: {حَدَائِقَ} وَهِيَ الْبَسَاتِينُ مِنَ النّخيل وَغَيْرها". (37)

ذكر هنا عن السلف في معنى {مفازاً} قولين:

الأول: متنزها، وهو قول ابن عباس.

الثاني: الفوز والنجاة من النار، وهو قول مجاهد وقتادة.

ورجَّح الحافظ ابن كثير قول ابن عباس؛ لدلالة السياق عليه.

وترجيح ابن كثير لقول ابن عباس ـ والله أعلم ـ لأنه قال بعده (حدائق وأعنابا)، والحدائق هي البساتين من النخيل والأعناب وغيرها الذي يكون متنزها للناس.

الفوز : هو الظفر بالخير مع حصول السلامة ، والمفازة سميت تفاؤلاً بالفوز ، وسميت بذلك إذا وصل بها إلى الفوز ، فإن القفر كما يكون سبب للهلاك فقد يكون سببا للفوز ، فسمي بكل واحد

(36) – تفسير القرآن العظيم، (٣٠٧/٨-) ، وذكره الفراء في معاني القرآن 228/3.

(37) – تفسير القرآن العظيم 307/8.

ISSN : 2410-1818

منهما حسبما يتصور منه ويعرض فيه ، وقال بعضهم : سميت مفازة من قوله فوز الرجل إذا هلك [38].

يقول ابن جرير الطبري _ رحمه الله _ " إن للمتقين منجى من النار إلى الجنة ومخلصاً منهم لهم إليها وظفراً بما طلبوا." [39]

المسألة السابعة: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴿٣٨﴾ ﴾

قال ابن كثير: " وَقَوْلُهُ: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النبأ:38]

اختلف المفسرون فِي المُراد بالروح هاهنا ، ما هو؟ عَلَى أَقْوَالٍ:

أحَدُهَا: رواه العوفِيُّ، عن ابن عباس: أَنهم أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ.

الثَّانِي: هم بَنُو آدَمَ. قاله الحَسن، وَقتادة، وَقال قتادة: هذا مِمّا كَان ابْنُ عَبّاسٍ يَكْتُمُهُ.

الثَّالِثُ: أَنّهم خلق من خلق اللَّهِ، على صور بني آدَمَ، وَليسوا بِمَلَائِكَةٍ وَلَا ببشرٍ، وهم يأكلون ويشربون. قاله ابن عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وَأَبو صالح وَالْأَعْمَشُ.

الرّابِعُ: هو جبريل. قاله الشعبِيُّ، وسَعيد بن جُبَيْرٍ، وَالضحاك. وَيُسْتَشهدُ لِهذَا القول بقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [[الشُعَرَاء: ١٩٣، ١٩٤] وَقال مقاتل بْنُ حَيّانَ: الروح: أَشرف الملَائِكَةِ، وَأَقربُ إِلَى الرب عَزّ وَجَلّ، وَصاحبُ الوحي.

الْخَامِسُ: أَنّهُ الْقُرْآنُ. قاله ابْن زيد، كقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[الشُورَى: ٥٢]

السّادِسُ: أَنّهُ مَلَكٌ مِنَ الملاَئكة بقدر جَمِيع المخلوقات؛ قَال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ: قَوْلُهُ: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النبأ:38].

([38]) – انظر : مجمل اللغة 707/3.

([39]) – جامع البيان 37/24.

ISSN : 2410-1818

قَالَ: هو ملك عظيم من أَعظم الملائكة خلقا... وتَوَقَّفَ ابنُ جَرِيرٍ فلم يقطع بواحد من هذه الْأَقْوَالِ كُلِّهَا ، وَالْأَشْبَهُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ-أَنَّهُمْ بَنُو آدَمَ.[40]

هذا ما ذكره الحافظ ابن كثير من هذه الأقوال عن السلف في معنى الروح ، ومال إلى القول الثاني وهو :- أنهم بنو آدم . قاله الحسن، وقتادة أيضا ، وقال قتادة : هذا مما كان ابن عباس يكتمه. وعبارة ابن جرير : " والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ خَلْقَه لا يملكون منه خطابا ، يوم يقوم الرُّوح ، والرُّوح خَلْق من خَلْقِه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت ، والله أعلم أيّ ذلك هو ، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعنيّ به دون غيره يجب التسليم له ، ولاحجة تدلّ عليه ، وغير ضائر الجهل به "[41] .

([40]) – انظر: تفسير القرآن العظيم، (٨-٣٠٩-٣١٠).

([41]) – جامع البيان للطبري 177/24.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

وبعد هذه الدراسة الموجزة في اختلاف السلف في التفسير وطريقة الحافظ ابن كثير في التعامل معه من خلال سورة النبأ وقفت على نتائج كثيرة أذكر من أهمها :

1- تفسير السلف أصل من أصول التفسير، ولا يجوز لطالب الحق إهماله أو تركه.

2- ضرورة معرفة الباحثين لأساليب السلف وطرقهم في تفسير الآيات، إذ بهذه المعرفة ترتقي مدارك الباحث، وتربى عنده ملكة يحسن بها فهم كتاب الله.

3- اعتنى الحافظ ابن كثير كثيراً بإيراد أقوال السلف ومناقشتها والترجيح بينها، معتمداً في ذلك على القواعد التي وضحها أهل العلم.

4- اعتمد الحافظ ابن كثير في كثير من ترجيحاته على دلالة السياق.

5- في عدد من ترجيحاته اعتمد الحافظ ابن كثير- رحمه الله - في تفسير بعض الآيات على ما جاء في نظائرها في القرآن.

6- أنه اعتمد أيضا على اللغة.

7- كان لا يرجح أحياناً، وذلك إذا لم يجد دليلا مرجحاً.

التوصيات:

يوصي الباحث بمضاعفة الجهود في دراسة مناهج أئمة التفسير، فإنه وإن كان أغلب منها مدروسا، فإن فيها بعض الجوانب التي تحتاج إلى مزيد من العناية.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ISSN : 2410-1818

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم .
2. اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق ، نقلا عن مركز تفسير للدراسات القرآنية ، إصدار رقم (4).
3. اقتضاء الصراط المستقيم ، لشيخ الاسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق د/ ناصر العقل ، دار كنوز اشبيليا – الرياض ، الطبعة الثانية 1419هـ.
4. انباء الغمر بأبناء العمر. للحافظ ابن حجر العسقلاني ، الناشر وزارة الأوقاف المصرية ، عام 1419هـ .
5. البداية والنهاية لابن كثير ، بإشراف د/ عبدالله التركي ، الطبعة الأولى.
6. تذكرة الحفاظ ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:748هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
7. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الأندلسي، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى - 1416 هـ.
8. تفسير السلف للقرآن الكريم ـ أهميته ، وخصائصه ـ نقلا من مركز بحثي ، بإشراف د: محمد السعيدي.
9. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420 هـ - 1999 م.
10. التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي. مكتبة وهبة ، القاهرة .
11. جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
12. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م
13. زاد المسير في علم التفسير ، لجمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي ، تحقيق عبدالرحمن المهدي ، الناشر : دار الكتاب العربي ببيروت ، الطبعة الأولى 1422هـ
14. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للشيخ ابن الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي.
15. طبقات الحفاظ، لأبي بكر جلال الدين السيوطي ، الناشر دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى عام 1403هـ.

ISSN : 2410-1818

16. طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد الداوودي، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، لبنان.
17. فصول في أصول التفسير ، للدكتور مساعد بن سليمان الطيار ، دار النشر الدولي ، الطبعة الأولى 1413هـ .
18. الفصول في الأصول ، المؤلف : أحمد بن علي أبوبكر الرازي الجصاص ، الناشر وزارة الأوقاف الكويتية ، الطبعة الثانية 141هـ
19. مجموع الفتاوى ، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، تحقيق عبدالرحمن بن قاسم ، مجمع الملك فهد ، المدينة النبوية ، 1416هـ.
20. مركز تفسير والدراسات القرآنية .
21. معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق أحمد النجاتي ، ومحمد النجار، وعبدالفتاح الشلبي ، الطبعة الأولى ، الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة .
22. المعجم المختص، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، سنة 1408 هـ.
23. مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق عدنان زرزور.
24. المنهل الصافي والمستوف بعد الوافي،لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الحنفي ، طبع دار الكتب العربية ، القاهرة ، مصر.